عالجها الاسلام؟

تحقيق/
وليد محمد
حاتم علي

ع لأي ضغط مهما كانت قوته ومهما كان

ضع اليه وضوابط محددة للتعامل مع ن القديمة ومن أجل حسم مادة النزاع يغلب التعافي بين الأطراف وإسقاط الحالات وفتح صفحة جديدة للتعامل وفق شرع الله والقوانين المرعية.

جب ان يكون هناك حملة توعوية تنطلق من لمساجد ورسائل الإعلام اللقاءات والمؤتمرات ت وعبر التصريحات يلات الرسمية وفي تعات العامة والمقرات ية والثكنات العسكرية ة.

حقق ذلك كله بإذن الله توجد النية الصادقة، يمة القوية والتوجه ن، عند كل الفئات اعية، لاجتثاث هذه ة من مجتمعنا المسلم ل المحبة والوئام بين تجتمع.

ا لدعوة صادقة تلك طلقت من قبل الأخ لجمهورية حفظه الله في جولاته الميدانية أو الته التي وجهها للأخ مجلس الوزراء منة آلية التعامل مع تحرام الثار وإنها لفرصة يجب عل معها جميع الأطراف وصدق وأمانة حتى لمجتمعنا الأمن والاستقرار والسعادة ء.

الأخذ بالثأر

الشيخ عطية صقر الرئيس الأسبق للجنة بالأزهر الشريف فيقول:

الحياة من أقدس الحقوق إن لم يكن ا، والاعتداء عليه بالقتل جريمة من أشد م نُكرا، وأكبرها خطرا، فهو يؤدي إلى يُتم ال، وترمل النساء، وإشاعة الفوضى لراب، وهو في حقيقته تحدٍ لشعور عة، وخروج على آداب الاجتماع، والحياة تحترام لحقوق المجتمع أشبه بحياة نات التي تسيرها غرائزها وتتصرف كيف واها.

أجمعت العقول السليمة واتفقت الأديان ى استنكار الاعتداء على حياة الغير بدون ل تعالى عقب قصة اعتداء ولد آدم قابيل يه هابيل: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي ل أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (سورة المائدة ٣٢).

ضت عقوبة صارمة للمعتدين، وهي س من القاتل جزاءً وفاقًا بما فعل، أو عوضًا به أهل القتيل.

وعزة، مُنصرفين بذلك عن الأخذ بأسباب الاستقرار والرخاء والتقدم، فلم يكن لهم شأن يُذكر عند الأمم الأخرى قبل مَجيء الإسلام.

جاء الإسلام فوضع العلاج الحاسم لهذا الداء الخطير، حيث حرم القتل بدون سبب مشروع، كما حرمته الأديان الأخرى فقال سبحانه: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (سورة النساء : ٩٣) ووضع عقوبة للقتل حتى لو كان خطأ - مع أن الخطأ مبرر لرفع المساءلة - وجاء ذلك في آية بدأها بعبارة توحي بأنه لا يتصور أن المؤمن يقتل أحدا، فقال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) (سورة النساء : ٩٢).

وَأَقَرَّ مبدأ القِصَاصَ مِنَ القاتل عند تعمد القتل الذي يدل على الاستهانة بالقيم وعدم احترام حقوق الجماعة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى) (سورة البقرة : ١٧٨) وبَيَّنَ حِكْمَةَ ذَلِكَ بقوله: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة البقرة: ١٧٩).

غير أن الإسلام وهو الدين الوسط جمع إلى مبدأ العدل مبدأ الرحمة فجعل بديلاً للقصاص وهو الدية، كما قال تعالى بعد قوله (وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى) في الآية السابقة (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) (سورة البقرة:١٧٨) ورغب في العفو عنه في آيات كثيرة ووعد العافين أجرا عظيما قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (سورة الشورى: ٤٠).

وهو حين يقرر مبدأ القصاص من القاتل وضع ضمانات تحول دون استفحال خطره وانتشار ضرره، فنهى عن الإسراف فيه بقوله: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) (سورة الإسراء : ٣٣) ومن مظاهر هذا الإسراف قتل غير القاتل الذي ثبت إدانته، فحرم أن يؤخذ غيره بجريرته تطبيقًا للمبدأ العام الذي جاء في قوله تعالى: (وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (سورة الأنعام : ١٦٤) كما حرم أن يُقتل أكثر من القاتل، فذلك يؤدي إلى استمرار العداء وتجدد الحروب وتفاقم الضرر.

روي أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لمَّا رأى عمه حمزة مقتولاً ممثلاً به في غزوة أحد حلف ليمثلنَّ بسبعين من الكفار لشدة وقع الألم على نفسه، فنزل قوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (سورة النحل : ١٢٦) فاختار الصبر وكفَّر عن يمينه.

ومن الإسراف في القصاص - كما يراه كثير من أئمة الفقه - استيفاء ولي الدم حقه من القاتل دون الرجوع إلى أولي الأمر - السلطة الحاكمة - فلا يجوز أن يقوم به ولي القتيل ابتداء ، بل لابد من تدخل السلطة، ذلك أن للجماعة حقًا في هذه الجريمة ، والحاكم هو ممثل الجماعة الذي يستوفي لها حقَّها، وتقدير الجناية وتحقيق أركانها أمر يحتاج إلى دقة وضبط وفحص وتثبت لا يستطيع أن يقوم به ولي الدم وحده. يقول القرطبي في تفسيره "ج ٢ ص ٢٤٥" لا خلاف في أن القصاص في القتل لا يقومه إلا أولو الأمر، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود.

هذا هو موقف الإسلام من القصاص من القاتل، أو الأخذ بالثأر وهو لا يرضى أن يترك الناس تعاليمه ويعودوا إلى جاهليتهم الأولى

الإسلام لا يرضى أن يُخفي أولياء الدم أمر الجريمة عن المسئولين ليقتصوا بأنفسهم، كما يشاءون ، الإسلام لا يرضى أن يُؤخذ البريء بذنب المسيء وأن تسيل الدماء بغير حق، الإسلام لا يرضى أن تعيش الأسر على أعصابها وتتعطل مصالحها وتكثر الفتن بينها، الإسلام لا يرضى ألا يُتقبَّل العزاء في القتيل حتى يُثأر له، ولا أن تكون غاية المتعلم أن يتقن حمل السلاح ليثأر لشرف الأسرة، والإسلام لا يرضى عن هذا التقليد الجاهلي الممقوت الذي يعطل القوى ويصرف عن العمل الجاد، ويؤدي إلى الفساد و الإفساد.

إن السبب في ذلك هو الجهل الذي لا يمحوه إلا العلم، والتعطل الذي لا يقضي عليه إلا العمل، والاستهانة بالقيم والقوانين التي لا يُصلحها إلا التأديب الرادع، والتستر على المجرمين الذي لا يمنعه إلا إحكام الرقابة وتعاون الجهود.

فلنقف عند حدود الله حقنًا للدماء وتمكينًا للأمن، الذي هو من أكبر نعم الله على عباده، ففي ظله يحس الإنسان طعم الحياة، وينصرف إلى تكميل نفسه وتقوية مجتمعه، ويترك وراءه جيلاً طيبًا يتحمل الأمانة بصدق، ويكون ذكرى طيبة لا تُنسى على مر العصور، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (سورة المائدة : ٢) وقال : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) (سورة الأنفال: ٢٥)

والقصاص شريعة سماوية نزلت بها الكُتب الأولى، قال تعالى في شأن التوراة التي نزلت على موسى - عليه السلام - وكانت شريعة اليهود: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...) (سورة المائدة : ٤٥).

والعرب قبل الإسلام كانوا يتمسكون بمبدأ القِصاص من القاتل مُبررين ذلك بقولهم: القتل أنفى للقتل، وقد حملهم على هذا الموقف ما طبعوا عليه من إباء الضَّيم وعدم الرضا بالهوان، فكانوا يرون الاعتداء على الحياة من أشد ما يجرح فيهم هذا الشعور، كما أنهم كانوا يباهون بعدد القبيلة، يفاخرون بالأولاد ويتكاثرون بالرجال ويرون الاعتداء على واحد منهم اعتداء على القبيلة كلها، يُوهن قُوتها ويُضعف هيبتها بين القبائل الأخرى، فيهبُون جميعًا للأخذ بثأره، لا يكاد يتخلَّى عن ذلك إنسان حتى لا يوصم بالجُبن الذي يرونه عارًا ما بعده عار.

جاء الإسلام فوضع العلاج الحاسم لهذا الداء الخطير، حيث حرَّم القتل بدون سبب مشروع، كما حرَّمته الأديان الأخرى

واشتد العرب فتمسكوا بمبدأ الأخذ بالثأر ، ولم يرض أكثرهم به بديلاً من مال وغيره حتى خيَّلت لهم أوهامهم أن القتيل إذا لم يؤخذ بثأره وقف طائر على قبره يسمونه "الهامة" يظل يصيح بقوله: اسقوني اسقوني، ولا يسكت حتى يقتل القاتل، يشير إلى ذلك قول الزبرقان بن بدر:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وكان من مظاهر شططهم في ذلك القصاص من غير القاتل ما دامت تربطه به قرابة أو صلة معروفة، فالجريمة عندهم تتضامن فيها القبيلة كلُّها، وقد يزيدون في شططهم فلا يرضُون إلا بالقصاص بأكثر من القاتل، إظهارًا لقوتهم وإرهابًا لغيرهم، أو شدة تأثر بالفراغ الذي تركه ذو مكانة فيهم، يقول في ذلك قائلهم:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ عَلَيْنا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينا

وقد رُوي أن واحدا قتل آخر من الأشراف، فاجتمع أقارب القاتل عند والد المقتول وقالوا له: ماذا تريد؟ قال: أريد إحدى ثلاث، قالوا: وما هي؟ قال: إما أن تُحيوا ولدي، وإما أن تملؤا داري من نجوم السماء، وإما تدفعوا لي جلة قومكم - أي عظماءهم - حتى أقتلهم، ثم لا أرى أخذت عوضًا.

وكان من أثر هذا الشطط اضطراب الأمن وانحلال الروابط وتفكك العُرا، وإشاعة الفوضى وجُموح التعصب، والاستعداد الدائم للحرب والتمرن على فنون القتال، والتكاثر باقتناء الخيل الجياد والسيوف البواتر، والتغني في الأشعار بما يملكون من قوة ما يتصفون به من شجاعة وبأس

... يدعو لاحترام القرآن

... الإسلام أو لأي دين

...سه يطالب القرار ... الفيدرالية والمحلية ... لجرائم المدفوعة ... ضد أي مجموعة من ... المسلمين.

... أن مسلمي أمريكا ... جزءا من التكوين ... أمريكا ومن ثم يجب

... عدد المسلمين في ... ا بين ٥ و١٠ ملايين ... عدد سكان الولايات ... م نحو ٢٩٦ مليون

التعصب

... مشروع القرار المقدم، ... ور مدير الشئون ... هذا المشروع يعبر ... كتب جميع الأديان،

وسوف يؤكد القرار -إذا ما مرر- على إدانة بلدنا للسلوكيات المتعصبة ولعدم التسامح الديني".

وكانت كير قد أطلقت في ١٧-٥-٢٠٠٥ حملة لتوفير نسخ مجانية من القرآن الكريم للأمريكيين الراغبين في قراءة المصحف والتعرف عليه، وذلك ردًا على التساؤلات التي أثارتها وسائل الإعلام الأمريكية مؤخرًا حول أهمية القرآن الكريم ومكانته لدى المسلمين عبر العالم بعد المظاهرات التي نشبت في عدة دول إسلامية ردًا على الأنباء الخاصة بتدنيس بعض الجنود الأمريكيين للقرآن الكريم في معتقل جوانتانامو الأمريكي بكوبا.

وقتل نحو ١٦ شخصًا وأصيب أكثر من ١٠٠ آخرين في هذه المظاهرات والتي شملت أفغانستان وباكستان وإندونيسيا وقطاع غزة ومصر. كما صدرت إدانات للحادث في السعودية وجامعة الدول العربية وبنجلادش وماليزيا.

الأزهر يدشن أكبر مكتبة مخطوطات إلكترونية

■ أطلقت مؤسسة الأزهر الشريف موقعا إلكترونيا سيخصص لحفظ ٤٢ ألف مخطوطة إسلامية و١٢٨ ألف كتاب على الإنترنت، هي مجمل محتويات مكتبة الأزهر الورقية.

ويهدف الموقع -وعنوانه www.alazharonline.org والذي جاء بمبادرة من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي ووزير الدفاع الإماراتي في إبريل عام ٢٠٠٠- إلى توفير نسخ إلكترونية لجميع محتويات مكتبة الأزهر، والتي يرجع تاريخ بعضها إلى ١٤٠٠ سنة، من أجل إطلاقها على الإنترنت مترجمة إلى عدة لغات عالمية بالتعاون مع كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

وفي كلمة له خلال احتفال أقيم بمناسبة افتتاح الموقع السبت الماضي قال شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بأن مشروع الحفظ الإلكتروني لمخطوطات الأزهر "يعتبر الأكبر من نوعه على مستوى العالم أجمع من حيث حفظ المخطوطات الأثرية إلكترونيا".

شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي.

وأضاف أن المشروع سيتيح الإطلاع من أي مكان في العالم على محتويات مكتبة الأزهر التي تعد ثانية كبرى المكتبات في مصر (بعد مكتبة الإسكندرية) من حيث عدد المحتويات التي تبلغ ٤٢ ألف مخطوطة ونحو ١٢٨ ألف كتاب.

التعريف بالفكر الإسلامي

وأكد شيخ الأزهر على أهمية إنشاء مثل هذا الموقع ليتعرف الناس على الفكر الإسلامي الصحيح. وعكس الروح المستنيرة التي يتحلى بها المسلمون هو مطلب مهم في الوقت الحاضر، على حد قوله.

وأضاف: "ينبغي علينا أن نحافظ على التراث الإسلامي الأصيل ونقدمه لهم في صورة يستطيعون من خلالها الانتفاع بهذا التراث، موضحا أن "هذا الموقع سيكون البوابة التي يدخل إليها كل من يرغب في معرفة المزيد عن التراث الإسلامي وحضارته، كما أنه سيوفر نظاما إلكترونيا للاستفسار والرد على الفتاوى عن طريق البريد الإلكتروني".

في محاضرة بكلية التربية بسيئون

الداعية بن حفيظ: الوحدة اليمنية من أعظم الدروس في تاريخ الأمة

■ أكد الداعية الإسلامي العلامة / عمر بن محمد بن حفيظ عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية أن الوحدة اليمنية درس بليغ يعتبر من أعظم الدروس في تاريخ اليمن خاصة و تاريخ الأمة العربية بوجه عام .

ودعا في محاضرته التي ألقاها بكلية التربية بسيئون بعنوان ((أهمية الوحدة اليمنية)) الى الحفاظ على منجز الوحدة و الوقوف صفاً واحداً تجاه كل من يحاول النيل منها ومن مكاسبها العظيمة مشدداً على ضرورة نبذ الفرقة و الاختلاف و التعصب و عدم إتباع الأهواء و رص الصفوف لبناء المستقبل اليمني المنشود .

و تأتي هذه المحاضرة في إطار برنامج ثقافي نظمته الكلية احتفاء بالعيد الوطني الخامس عشر لإعادة تحقيق وحدة الوطن وقيام الجمهورية اليمنية واشتمل على فعاليات ثقافية وفنية و مسابقات رياضية وفكرية و تكريم أوائل الطلاب و الطالبات .

شخصية المسلم.. لا تعرف النفاق والسلبية

بقلم الدكتور: محمد الدسوقي

■ إن كل تعاليم الإسلام تتوخى إعادة بناء الشخصية الإنسانية وفقا للقوانين الإلهية بعد أن ران على تلك الشخصية ظلام الشرك والجهالة والضلالة في فقدها الوعي الصحيح لمركزها في الكون ورسالتها في الحياة والذي يراجع تاريخ البشرية قبيل الإسلام وبعده بسنوات معدودات يدهش لهذا التحول العجيب الذي جعل أمة متصارعة ممزقة لا يأبه العالم بها - أمة جديدة في قيمها وقداسة وحدتها فاستطاعت من ثم أن تقود وتسود. وأن تفتح أمام الناس كافة طرق العلم والحضارة.

ولكن دهشة المرء تذهب أمام معرفة المبادئ التي جاءت بها الرسالة الخاتمة والدعوة العامة فهي سر هذا التحول العجيب الذي جعل الحفاة العراة الغلاظ الأكباد في مركز القيادة والريادة في كل مجال من مجالات الحياة الكريمة فأصبحوا بتلك المبادئ خير أمة أخرجت للناس.

علي أن مبادئ الرسالة الخاتمة التي صاغت الشخصية الإنسانية صياغة جديدة ترتكز كلها على المبدأ الأول الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين وهو عبودية الله وحده. فهذه العبودية هي التي تجعل لحياة الإنسان معني ساميا وتقود قيمه وسلوكه إلى سواء السبيل.

إن الإيمان بوحدانية الله يحرر الإنسان من كل أسباب الضعف والمهانة والخوف والقلق والإهمال والفساد. لأن هذا الإيمان يدفع دائما إلى عدم الخضوع إلا لله. فلا يذل الإنسان لأخيه الإنسان مهما تكن منزلته وسطوته فالناس جميعا أمام خالقهم سواء ومن ثم لا يملك إنسان لإنسان نفعا ولا ضرا. فالأمر كله بيد الله وحده.

وهو سبحانه صاحب الحول والطول وإليه المرجع والمآب.

وإذا كان هذا الإيمان يغرس في النفوس معاني العزة والقوة فإنه أيضا يحيي فيها ملكة المراقبة الدائمة لله. والإنسان بهذه الملكة يخشي ربه في كل حال ولا يخرج عن تشريعه في الأقوال والأفعال.

والإيمان فضلا عن هذا يمنح المؤمن قوة وفتوة أمام أحداث الحياة ونوازلها فلا يجزع ولا يهلع. لأن العبودية الحقة تواجه تلك الأحداث وهذه النوازل بيقين راسخ لا تنال منه الشدائد مع اعتقاد جازم بأن مع العسر يسرا ومع الضيق فرجا. ولهذا لا يعرف المؤمن القنوط والتشاؤم ولا يرضى بالدنية في دينه ودنياه.

إن العبودية لله هي منطلق خصائص ومقومات الشخصية الإسلامية فهذه الشخصية لا كيان لها إلا بالعبودية لخالقها وهي بهذه العبودية تمتاز بما إذ مات أنفا من القوة والعزة والثبات أمام الكوارث والنكبات كما تمتاز بالعمل الجاد الذي يراقب الله فيما جل أو هان.

والشخصية الإسلامية بعد هذا لا تعرف السلبية أو النفاق - إنها شخصية تسعي لتؤثر في غيرها ولا بأس بأن تنتفع بما لدي سواها ولكن على شريطة أن تبقي لها سماتها الأصيلة وخصائصها الذاتية والي هذا المعني يشير قول رسول الله صلي الله عليه وسلم: "لا يكن أحدكم إمعة إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء ولكن إن أحسن الناس فليحسن وإن أساءوا فلا يسيء".

ومفهوم الايجابية يشمل كل مواقف المسلم في حياته الخاصة والعامة وفي علاقاته بالأفراد والجماعات فهو ايجابي دائما لأنه يؤمن بأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم وأن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى وأن مناط الخيرية للأمة الإسلامية مرده إلى هذه الايجابية "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" "آل عمران /١١٠" وهذا الايجابية هي التي تحمي كلمة الحق فيخنس الباطل ولا يقوي على الظهور وهي إلى هذا تمثل ما يسمي في العرف المعاصر بالرأي العام ولكنه الرأي الذي ينبعث عن عقيدة خالصة لا يشوبها عرض زائل أو متاع فان ولذا تعد الايجابية لدي الشخصية الإسلامية قوة مؤثرة فاعلة نحو الأهداف السامية والقيم الخالدة والغايات المقدسة. ولأن الشخصية الإسلامية ذات همة عالية وعزيمة قوية وإرادة صلبة فإنها لا تقبل حياة السفح والوهاد وإنما تنشد حياة القمم الشامخة والأعمال الجليلة والانجازات الضخمة لأنها تحب معالي الأمور وتكره سفسافها فلا غرو إن اتسمت هذه الشخصية بالنظرة الجادة والإرادة الحازمة والمثل العليا وتنفر كل النفور من توافه الأمور وتربأ بنفسها إن تعيش حياة الخمول والكسل أو الضعة والهوان.

والشخصية الإسلامية بالإضافة إلى كل ما سبق تؤمن بأن الوقت هو الحياة وأن كل إنسان مسئول عن عمره فيم أفناه وهي لذلك لا تضيع العمر سدي وإنما تنفقه في كل خير. أستاذ أصول الفقه بجامعة القاهرة.

جزاء البدع

بقلم الدكتور: فؤاد مخيمر

■ جزاء البدع في ضوء قوله - صلى الله عليه وسلم - "من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً" الحديث رواه مسلم

ظاهر الحديث يوحي بالتعارض مع قوله - صلى الله عليه وسلم - "كل بدعة ضلالة" والحق في توجيه القول خلاف ذلك. وإليك توجيه القول:

١ - المراد بكلمة "سن" هو من أحيا وعمل بما ورد في الشرع. وليس المراد: من اخترع وأنشأ من قبل نفسه.

ويؤيد هذا التوجيه ويؤكده ما روي في سبب الحديث. أو المناسبة التي ذكر فيها الحديث وهي: دخل فقراء مضر علي النبي - صلى الله عليه وسلم - بمنظرهم المؤلم من شدة فقرهم يلبسون جلد النمار فحث النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ليتصدقوا من أجل هؤلاء الفقراء فأسرع واحد من المسلمين فذهب إلى بيته ورجع بصرة عجزت يده عن حملها فتصدق بها. فحدثت غيرة في الناس. وتتابعوا بعده في الصدقة. فكان هو البادىء بالخير حتى تهلل وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - سرورا فمدح كل المتصدقين. ولكنه خص الأول الذي فتح باب الخير لغيره. وشجع الناس على الصدقة التي تعد من فضائل الدين.

فالرجل الذي بدأ بالخير وتبعه الناس فيه لم يشرع شرعا جديدا. وإنما أحيا شعيرة ثابتة من شعائر الإسلام. وهي "البذل والعطاء والتعاون" وبهذا يتبين المراد من قول: "من سن" أي: من أحيا.

٢ - من الأمور المعلومة لدينا أن كثيراً من سنن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أميتت وهجرها الناس. وطاوعوا هواهم ففعلوا أعمالا ليس لها أصل من الشرع وهي عندئذ تعد بدعة. وقد توارثها الناس عن بعضهم. وهم على جهالة من هدي نبيهم. وذلك واضح فيما يفعله الناس في أفراحهم ومآتمهم فضلا عما أحدثوه في العبادات. وغيرها.

وأسوق على سبيل المثال لا الحصر من بدع الأفراح. ما أحدثه الناس من ألوان البذخ والإسراف والاختلاط بين الجنسين عند إقامة أفراحهم في النوادي والفنادق وإجراء عقود الزواج في هذه الأماكن. وليس يخفى عنا ألوان الفساد التي تقع في هذه الأماكن فضلا عن الرقص وشرب الخمور وغير ذلك من الكبائر. وهذه أمور ملموسة ومرئية لشيوعها.

٣ - أجمع أهل العلم على أن التحسين للأشياء والتقبيح لها مصدرهما الشرع لا العقل.

فمن اتبع الشرع فقد هدي إلى صراط مستقيم. ومن اتبع عقله في التوجه والعمل عن غير سند شرعي فقد ضل وانحرف عن صراط الله المستقيم.

وفي ضوء هذا التوجيه ينبغي أن نعلم أن معنى "من سن سنة سيئة..." أي: من أحيا ما منعه الشرع من المعاصي ونهى عنه من البدع. فعمل به ووجه الناس إليه "فعليه وزرها ووزر من عمل بها.....الخ" ذلك. لأنه اتبع عقله وهواه. وانصرف عما شرعه الله تعالي ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

٤ - في ضوء الحديث وما سبق من توجيه نعلم أن هناك بدعا في أمور الدنيا. منها ما هو نافع. ومنها ماهو ضار. وقد سبق توجيه القول في ذلك في المبحث السابق من هذا الفصل.

وقد بينت أن الاختراع في كل ما يتصل بشئون الحياة لتزدهر وترقى الشعوب لا حرمة في ذلك ولا كراهة مادامت هذه الاختراعات لا تصطدم بنص شرعي. ولا تكون وسيلة إلى إيذاء الناس وإزعاج أمنهم واستقرارهم في بلادهم.

ومن أمثلة النافع من بدع الدنيا: تأسيس الملاجيء للأيتام. ودور الحضانة. والإيواء لكبار السن. والمشافي وتطويرها.. وغير ذلك مما فيه نفع للناس. ولم يكن موجوداً في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومع هذا فإن هذه المنافع لها سند شرعي وهو التعاون على البر والتقوي.

ومن أمثلة بدع الدنيا الضارة: صناعة الأسلحة المتطورة بقصد التعدي على الشعوب الآمنة لإزعاجها وتدميرها.

٥ - البدع إذا لم تكن ضلالة لا يذم فاعلها. وتكون ضلالة إذا كانت مخالفة للكتاب والسنة وهدي الصحابة - رضي الله عنهم - فأدت إلى هدم أصل شرعي أو زيادة ليس عليها أمر الدين عندئذ يذم فاعلها.

أما إذا كان هناك سنة قد أميتت ونسي الناس أنها من هدي الإسلام فإن من أحياها كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

وينضبط ذلك كله في ضوء ما أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لبلال بن الحارث:

"أعلم. قال: أعلم يارسول الله. قال: اعلم يا بلال. قال: أعلم يارسول الله. قال: إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً".

ليس المراد الاستنان بمعنى الاختراع. وإنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية. والذي يؤكد ذلك ماثبت في سبب ذكر هذا الحديث وإن اختلفت رواياته في إحياء العمل بالصدقة المشروعة.

ومن ثم فإن الحديث حجة على المبتدع بما ليس في كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وفيه دعوة إلى البحث عن السنن التي أميتت وتوقف العلم بها لإحيائها. ودعوة الناس إليها مع بيان فضلها وأثرها في بناء المجتمع.

٦ - صاحب البدع المذمومة لا يقبل الله تعالي عمله. وهو بعيد عن الدين. والأحاديث والآثار الناطقة بذلك كثيرة.

منها: مارواه ابن ماجه من حديث حذيفة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لايقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلا. يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين".

وأخرج عن ابن عباس - رضي الله عنهما: "أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته".

ومما اتفق عليه من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "..... من رغب عن سنتي فليس مني".

٧ - أجمع المسلمون على أن التحسين للأشياء والتقبيح لها مصدرهما الشرع لا العقل.

وفي ضوء هذا الأصل ينبغي أن نعلم أن معنى: "من سن سنة سيئة" أي: من أحيا ما منعه الشرع من المعاصي. ونهى عنه من البدع. وهذا هو مراد الشارع من البدع. ويفصح عن ذلك قوله - صلي الله عليه وسلم - "من ابتدع بدعة ضلالة" فكلمة "ضلالة" صفة ملازمة للبدعة الدينية. والنهي المذكور عن بدع الدين. ذلك. لأن الدين قد تم وكمل فلا يدخله تعديل أو حذف أو إضافة. وقد وثق رب العزة سبحانه هذا الأمر بقوله:

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" المائدة٣

٨ - "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن. وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح".

هذا ليس بحديث نبوي. ولكنه أثر عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ولو صح حديثا فالمراد بكلمة "المسلمون" فيه: الاجماع. والإجماع من مصادر التشريع. أو المراد ب "المسلمون" الصحابة كلهم. كما أقر عمر - رضي الله عنه - المسلمين على صلاة التراويح عشرين ركعة مع أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يصليها ثمانية.

أو يكون المراد بعبارة "ما رآه المسلمون.." فيما لا نص فيه يؤيده أو يعارضه - والله أعلم.